ذلك يجعل الثقة تزداد بالأرقام وبالوثائق التي يوردها في مخطوطته.

أما ملاحظاتنا على المخطوطة والآراء المطروحة فيها فيمكن ايجازها بما يلي:

أولاً: ينطلق روحي الخالدي، عندما يتحدث عن العلاقات بين الحركة الصهيونية والدولة العثمانية، من قاعدة ثابتة وهي عثمانيته، ملغياً أحياناً عوامل أساسية في فهم أسباب «الرفض والقبول العثمانيين» للحركة الصهيونية، فقد كانت الدولة العثمانية، في موقفها، تنطلق من عدة أسباب، مثل: انتظار الدولة العثمانية أن تقوم الحركة الصهيونية بدور الوسيط لدى أوروبا لحل مشاكلها الأوروبية، ومثل: انتظار الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية أن تساهم في تسديد ديون الدولة، أو لعب دور الوسيط لتأجيلها، هذا من ناحية القبول. أما من ناحية الرفض، فهو نابع من الخوف من المشاعر العربية القومية، اضافة للسبب الطبيعي؛ وهو الخوف من نمو الحركة الصهيونية (الأوروبية)، ولهذا وضعت الدولة العثمانية شروطاً شكلية، لم تمنع من نمو الاستيطان الزراعي في فلسطين. «فقد قدرت مساحة الأراضي التابعة للكيرين كاييمت (الصندوق القومي للحركة الصهيونية العالمية)، قبيل الحرب العالمية الأولى، أي في ظل الدولة العثمانية، نحو ١٦,٣٩٦ دونماً»(٥).

ثانياً: لغة المخطوطة، هي لغة عصر النهضة الأولى المنفلتة من التقعير اللغوي السائد في العصر التركي؛ وهي، في الوقت ذاته، لغة عملية سريعة تقترب من لغة الصحافة بأخطائها أحياناً، فصياغة روحي الخالدي اللغوية أقرب الى اللغة اليومية منها الى لغة القاموس. وهذا جعل التركيز على المعنى، أكثر من التركيز على فصاحة اللغة. وهذه الظاهرة واضحة، حتى في كتابه: «علم الأدب عند الافرنج والعرب»، الصادر عام ١٩٠٤، والذي يعتبر أول كتاب نقدي عربي في مطلع النهضة، يعبر عن اتجاه الحداثة المتأثرة بالثقافة الأجنبية.

ثالثاً: يكثر روحي الخالدي من الرد على التوراة والتلمود، وعلى آداب اليهود حول الوعود الدينية بالعودة الى «أرض الميعاد»، بحجج من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أو بنقض ما ورد في التوراة، نقضاً مثالياً. أي أنه بنقضه يقع في المنهج التوراتي نفسه. ومع هذا، فان زمن كتابة المخطوطة يبرر له ذلك. فسقوط المنهج التوراتي لم يبدأ الا بظهور المدرسة التي تركز على دراسة الآثار، كبديل، في زمن متأخر عن زمن روحي الخالدي.

رابعاً: يقع أحياناً في فهم سطحي للثورات القومية الأوروبية فيعزوها الى أسباب ساذجة مثل قوله: «وفي سنة ١٨٣٠، أي بعد استقلال اليونان وظهور المسألة المصرية وغليان الأفكار العامة في أوروبا على الدولة العثمانية، بتحريض الشاعر اللورد بايرون وغيره من الأدباء وكتاب الجرائد الخ...».

وهو أحياناً يعطي «الثورات» صفة سلبية؛ فبعد أن يتكلم عن اضطهاد اليهود في روسيا القيصرية يقول: «..فلا عجب بعد هذا الاضطهاد أن انخرط اليهود في حزب النهلست وعملوا على احداث الثورات والانقلابات».

نصوص مختارة

١ ــ مقدمة عامة:

يبدأ روحي الخالدي مخطوطته بتعريف «السيونزم» فيقول: «...مشتقة من كلمة 'سيون' أي صهيون، بزيادة 'ايزم' الدالة على الرأي السياسي أو الفكر الديني والفلسفي. وصهيون اسم الجبل الذي عليه اليوم قلعة القدس وقبر داود بن سليمان عليهما السلام، ويطلق، تعميماً، على مدينة القدس الشريف وما حولها. وفي اصطلاح الصهيونيين، هي كلمة وضعت للدلالة على نظرية حديثة انتشرت بين يهود أوروبا الشرقية، سيّما بين يهود روسيا ولهستان ورومانيا وغاليشيا. ويراد بها تأسيس دولة يهودية في فلسطين، حيث يهاجر اليها جميع اليهود المتألين من الاضطهاد المسمى باصطلاح الافرنج: 'انتي سيمتزم'. ويخرجون من بلادهم الأصلية التي ولدوا ونشأوا فيها، ليؤسسوا في فلسطين، على قواعد ملّتهم، وطناً خاصاً بهم تعترف الأمم المتمدنة بوجوده، وتؤمنهم على بقائه تأميناً شرعياً بمقتضى حقوق الدول العمومية. فغاية الصهيونية هي ايجاد وطن لليهود في فلسطين، بالهاجرة اليها وتأمين وجود هذا الوطن بالحقوق العمومية».